الطب والمطببون في شمال الجزيرة العربية علي ضوء كتابات الرحالة الغربيين في القرن التاسع عشر

د. زكريا صادق الرفاعي
أستاذ مساعد بكلية التربية جامعة المنصورة

مقدمـــة

حظيت شبه الجزيرة العربية باهتمام كبير، خلال القرن التاسع عشر، بحكم موقعها الجغرافى من التجارة العالمية، فصارت جزءا من معترك الصراع الدولى بين القوى الكبرى[١]، ومن ثم تدفق عليها الرحالة من كل حدب وصوب، على تباينهم في النوازع والأهداف[٢].

وقد خلف هؤلاء الرحالة وراءهم تراثا عريضا من الكتابات؛ لم تتعلق بالنواحى السياسية والاجتماعية فحسب، بل طالت أيضا الجوانب الجغرافية والعمرانية والأثرية، واستطاعت، فى الأغلب الأعم، تقديم لوحة حية وثرية للتطور التاريخى لشبه الجزيرة العربية، عبر الحقب والعصور التاريخية المختلفة، ليظل هذا التراث، في نهاية المطاف، بغض النظر عن جوانب الاتفاق والاختلاف حول قضاياه واشكالاته- واقعا ماثلا دوما، ليس بوسع أحد تجاهله بحال، كما ستظل له سطوته وحضوره في ظل غياب المصادر المحلية[٣].

وتسعى هذه الدراسة الى رصد ما سجلته كتابات الرحالة حول الجوانب الصحية فى شمال الجزيرة العربية، خلال القرن التاسع عشر، بهدف استخلاص ما يمكن تسميته بالمعالم الرئيسة للتاريخ الطبى للمنطقة، إن جاز التعبير. ومن الناحية الجغرافية: فإن المقصود بشمال الجزيرة العربية ذلك الجزء الممتد شمالا لهضبة نجد، الواقع عند خط الطول ٣٠-٤١ شرقا. وخط العرض ٣٣ -٢٧ شمالا. ومن الناحية الوصفية: فقد ذكر

البعض أن شمال الجزيرة العربية محصور بين النفود الكبير في الشمال، ووادى الرمة في الجنوب، وبين جبال الحجاز في الغرب وصحراء الدهناء في الشرق، كما ربط آخرون حدودها بأسماء المناطق التى تحدها مثل: بادية الشام من الشمال، وجهات القصيم من الجنوب، والعراق والكويت شرقا، والمدينة المنورة غربا(٤).

وخلال القرن التاسع عشر؛ كانت الهيمنة السياسية، في شمال الجزيرة العربية لإمارة جبل شمر وعاصمتها حائل التى كانت تحت حكم آل على، ثم آل رشيد، وأخذت في المزيد من التوسع حتى صارت لها السيطرة والنفوذ على معظم الأجزاء الشمالية، فضلا عن وسط وغرب الجزيرة العربية(٥)، ولطبيعتها الاستراتيجية المتزايدة؛ غدت محطة رئيسة للرحلات منذ أربعينيات القرن التاسع عشر(٦).

وقد حمل عنوان الدراسة في طياته العديد من التساؤلات، منها محاولة رصد الأمراض الأكثر ذيوعا وانتشارا، وأنواع وطبيعة الأدوية والعقاقير المستخدمة آنذاك، وأيضا مدى العلاقة بين البيئة الجغرافية، والصحة العامة للسكان، وكذلك طبيعة القائمين على العلاج الطبى، أى المطببون، ومدى خبرتهم فى هذا الصدد، إضافة الى منظومة القيم الدينية والاجتماعية التى صاحبت قناعات الناس ورؤيتهم للصحة والمرض؛ كظاهرة انسانية وواقع اجتماعى معاش.

وقد اعتمدت الدراسة على كتابات الرحالة الغربيين كمصدر رئيس فى المقام الأول، برغم أن رؤيتهم قد جاءت، بطبيعة الحال، من خلال إشارات متفرقة وبصورة عرضية، ضمن سياق الحديث عن جوانب مختلفة حتمتها طبيعة ظروف وأهداف رحلاتهم، كما بدت الدراسات السابقة في هذا الصدد جد محدودة، وربما باستثناء دراسة وحيدة كانت من نصيب الرحالة داوتى؛ لم نعثر على اهتمامات أخرى مماثلة فيما نعلم (٧)، وقد عولت الدراسة على منهج تحليل المضمون لمختلف النصوص، مع مراعاة السياق التاريخى المصاحب لها، كما أفادت الدراسة بطبيعة الحال من الأدبيات التاريخية المتاحة على تنوعها (٨).

الطب والتطبيب بين النظرية والممارسة

منذ وجوده والإنسان في رحلة بحث دائمة لفهم ما يحدث له، و ما حوله من ظواهر وأحداث، ولعل ظاهرة المرض من أبرز تلك الظواهر التى ما فتىء الانسان يجد في السعى، ما وسعه، لفهمها وكيفية التعامل معها، عبر الزمن، جيلا وراء جيل.

ومن الناحية اللغوية: يبدو الفارق في المعنى بين الطب والتطبيب، "فالطَّبُّ مُثَلَّثة الطَّاءِ هُوَ عِلاَجُ الجِسْمِ والنَّفْس واقْتَصَرَ على الكَسْرِ في الاسْتِعْمال، الطِّبُّ بمَعْنَى الرِّفْق، والطَّبِيبُ الرَّفِيقُ والطُّبُّ بمعنى السِّحْر ... وقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: إنما سُمِّي السِّحْرُ طِبّاً على التفاؤل بالبُرْءِ" [٩].

"والطَّبُّ: المَاهِرُ الحَاذِقُ الرَّفِيقُ، وفي لسان العرب: الطَّبُّ: الحَاذِقُ من الرِّجَالِ المَاهِر بِعِلْمِه كالطَّبِيبِ وكُلُّ حَاذِقٍ بِعِلْمِهِ طَبِيبٌ عِنْد العَرَب، ويقَال: فُلاَنٌ طَبٌّ بِكَذَا أَي عَالِمٌ بِهِ..: والمُتَطَبِّبُ: مُتَعَاطِي عِلْمِ الطِّبِّ وقَد تَطَبَّبَ. وقَالُوا: تَطَبَّبَ لَهُ: سَأَل لَهُ الأَطِبَّاءَ، المُتَطَبِّبُ: الَّذِي يُعَانِي عِلْمَ الطِّبِّ ولا يَعْرِفُه مَعْرِفَةً جَيِّدَةً، قلتُ: أَي لِكَوْنِه من بَابِ التَّفَعُّلِ وهو لِلتَّكَلُّف غَالِباً.." [١٠].

ومن ثم فان الطبيب physician هو: المؤهل والمتصدى لعلاج الناس بحكم علمه وخبرته، وإن كان يجب الإشارة الى أنه ليس كل من تلقى العلم نظريا قد مارسه بالفعل عمليا، فهناك كثير من العلماء درسوا الطب ووضعوا فيه مؤلفات، دون وجود ما يشير، بالضرورة، الى ممارستهم العملية للطب [١١].

وفى كثير من الاحيان فان اعتبارات الواقع المعاش - وفى ظل غيبة أو ندرة وجود أطباء في العديد من الاماكن لسبب أو لآخر - قد حتمت وجود فئة صارت لها أهميتها في محيطها الاجتماعى، هم المطببون general practitioner، وهم وان بدت معرفتهم النظرية بالطب محدودة، فلديهم خبرة عملية متوارثة لا تنكر، اكتسبوها عبر التجارب والممارسات الطويلة من الآباء والأجداد.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

و الواقع أن قضية النظر للطب بوصفه علما تارة، وبوصفه مهنة تارة أخرى، قد حظيت بنصيب من الاهتمام في أدبيات التراث العربى. وقد تطرق ابن خلدون الى تلك القضية، فأشار الى الطب باعتباره علما يُعنى بمعرفة الاسباب المختلفة للأمراض، والوقوف على الطرق الفعالة لعلاجها فمن "فروع الطبيعيات صناعة الطب، وهى صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها حفظ الصحة ... ويسمى العلم الجامع لهذا كله علم الطب ..."، وإن كان في موضع آخر عرض للطب كمهنة، شأنها شأن الحرف والصنائع المتداولة، والتى تتفاوت في اهميتها من مكان لآخر فتلك "الصناعة (أي الطب) ضرورية في المدن والامصار لما عرف من فائدتها ..."[١٢]، على حين أن أهل البادية تقل "حاجتهم للطب ولهذا لا يوجد الطبيب في البادية بوجه، وما ذاك إلا للاستغناء عنه، إذ لو احتيج اليه لوجد"[١٣]، كما اعتبر ابن خلدون، وفقا لتلك الرؤية، أن ما تقوم به القابلة عند الولادة مهنة قائمة بذاتها[١٤]، كما وصف جملة الممارسات الطبية في البادية، بما لها من خصوصية بيئية واجتماعية، بقوله و"للبادية من أهل العمران طب يبنونه في غالب الامر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص، متوارثا عن مشايخ الحى وعجائزه، وربما يصح منه البعض، إلا أنه ليس على قانون طبيعى ..."[١٥].

وفى القرنين السادس عشر والسابع عشر: ميز بعض الدراسين بين الطب كعلم يبحث عن سبب الأمراض وكيفية استعادة الجسم لقوته من جديد، وبين جوانب أخرى مرتبطة به، مثل الجراحة التى اعتبروها أقرب الى المهنة أو الحرفة منها الى العلم النظرى، وتحتاج الى مهارة يدوية خاصة[١٦].

ويبدو أن الرؤية السابقة قد ظلت ماثلة في الأذهان وتركت صداها في كتابات بعض الرحالة، فأشار بالجريف (١٨٢٦-١٨٨٨) الى أن العرب لم "يفرقوا بين الطب والجراحة من حيث النظرية والممارسة" وأن "أفضل علاج لديهم هو الكى، وهو يدخل فى باب الجراحة"، ثم ذكر أن بعض "النباتات التى تنمو هنا لها بعض المزايا الطبية كمسكنات

ومنشطات، ويستخدمها من آن لآخر السكان اصحاب الخبرة والتجربة، كما أن استخدام الكمادات والأدوية الخارجية الأخرى، أو الملطفات، يدخل أيضا فى إطار مهارتهم وخبرتهم، كما تعوض سرعة البديهة الفطرية، الى حد ما، أوجه القصور الناجمة عن جهلهم بالمعلومات النظرية" (١٧).

ومن الأهمية بمكان: التوقف عند ما أبداه بالجريف من آراء حول التراث الطبى للعرب والمسلمين بوجه عام، خاصة وأن الرجل كان من أبرز الرحالة اهتماما ورصدا للأحوال الاجتماعية (١٨) وفى مقدمتها الجوانب الصحية، وقد جمع على حد قوله "معلومات هامة عن الحالة الصحية فى جبل شمر، فى الماضى والحاضر"(١٩)، وفى تقديره أن العرب "لا يعدو أن يكونوا أطفالا فى مجال الشئون الطبية"، وأضاف في موضع آخر "أن القول بفهم العرب للطب وهم شعبى، وكل ما هنالك ترجمة عامية للطب الإغريقي"، وعاد مضيفا "أن ومضات العرب فى الطب سرعان ما خبت، بسبب جمود الإسلام(١)، وجهلهم بالعلوم الكيماوية والأدوية، فظلوا على هذا الحال من الجهل"(٢٠).

والواقع أن الأحكام السابقة، التى أطلقها بالجريف، قد انطوت على ظلم واجحاف كبيرين بالتراث الطبى للعرب، الذين عرفوا الطب قبل الإسلام، وإن كان قد غلب عليه الطابع البدائي، وتناقله الناس مشافهة في غير نظام، فكان في الواقع طبا فلكلوريا، إن جاز التعبير، وبرغم ذلك برز منهم أطباء معروفون مثل الحارث بن كلده وغيره، ومن جراحي العرب بن أبى رمثة، ومن بيطرييهم العاص بن وائل (٢١).

وكانت المعالجات تعتمد عادة على بعض النباتات، وبالعسل وحده أو مع مواد أخرى شربا تارة، أو على صورة عجائن ولصقات تارة أخرى، وفى كثير من الأحيان: تم الاعتماد على الحجامة والفصد والكى، وبتر الاعضاء بالشفرة المحماة بالنار، وفى بعض الحالات تمت معالجة الجراح المتعفنة والدماميل بمواد ضد العفونة، كما استخدم الحجر

(١) هذا رأيه غير المنصف. وانظر ص٦ التالية.

الصحى والفتائل في تضميد الجراح، وكان شائعا لجوء البعض، آنذاك، الى استخدام الرقى والعزائم والاذكار، لطرد الجن والأرواح الشريرة.

على انه في فترة الدولة العباسية، وخاصة عهد الخليفة المأمون، كما هو معروف، بدأ الحرص على الترجمة في الطب والعلوم من اليونانية مباشرة، وكان على رأس هؤلاء المترجمين: حنين بن إسحاق، وسرعان ما تعرف العرب على أعمال أبقراط وجالينوس وغيرهم، ومع الوقت صار علم الطب فيهم أصيلا، فتناولوه بالشرح والنقد، فضلا عن ممارسته عمليا [٢٢].

ولم يمنع اعجاب العلماء العرب بالطب الإغريقي؛ انتقاده في بعض الأحيان، على نحو ما فعل الرازى، فلم يقر بصحة ما توصل اليه جالينوس وأبقراط في بعض القضايا الطبية. وصفوة القول: أنه لم يكن في العالم المتحضر، في ما بين منتصف القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) و القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) علم طبى يعتد به الا ما كان منه عند العرب، كما لم يشك أحد من أهل القرون الوسطى في تفوق العرب في الطب: علما وعملا وتنظيما [٢٣].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن المثير للانتباه؛ أن بالجريف قد ربط تأخر العرب والمسلمين، في مجال الطب، بما أسماه بجمود الإسلام، ولم يوضح أي جمود يقصد؟ لاسيما وأن الإسلام من أكثر الديانات السماوية حثا على طلب العلم والمعرفة، وإعلاءً لمكانة العلماء، واعترافا بفضلهم، وليس معروفا الأسباب التى دعت بالجريف لتبنى هذا الزعم والإفتئات، وإن كان مثيرا للانتباه أن ما ذكره بالجريف هو نفس ما سبق وان أبداه الطبيب والمستشرق المعروف "كورنيليوس فان ديك Cornelius Van Dyck" عضو الإرسالية الأمريكية، الذى استقر في بيروت منذ عام ١٨٣٦، واستمرت خدمته بها لمدة ستين عاما، و قد كتب ديك عام ١٨٤٨ مقالة عن الأحوال الحالية لمهنة الطب في سوريا، أوضح فيها أن الطب العربى في حالة من الضعف والجمود، وربما تأثر بالجريف بما كتبه ديك إبان وجوده في بيروت عام ١٨٦٠ [٢٤].

ويجب التنويه إلى أن التهجم على الإسلام كان دأبا لبعض من نخبة العصر الفيكتوري، فكثيرا ما زعموا أن "الإسلام بمكوناته الذاتية غير قابل للإصلاح والتغيير"، بل إنه وفق رؤيتهم "عاجز حتى عن توجيه الحياة الإنسانية لأصحابه"[٢٥]، بل إن بالجريف ذهب، في موضع آخر. الى مدًى أكبر في زعمه، وبدا أكثر حنقا على الاسلام حين ربط بغرابة فجة، وغير مبررة، بين "إمكانية تقدم العرب في العلوم المادية والتطبيقية" من جهة، شريطة "زوال الاسلام واختفاء مكة"؟ من جهة أخرى[٢٦].

ويبدو أن مهنة الطب كانت تحظى بالتقدير والقبول من مختلف الطبقات الاجتماعية، ولعل ذلك كان دافعا لاختيار أغلبية الرحالة الظهور بمظهر الأطباء، وقد أشار بعضهم الى أن "مظهرنا التجارى قد سبب لنا بعض المضايقات، ولكن مظهرنا الطبى جنبنا الهزيمة الكاملة"[٢٧]، كما كانت هناك، على حد قول البعض، قناعة سائدة بين الناس أن "الطبيب لدية قوة مقدسة او خارقة للطبيعية وهو إحساس مفيد للطبيب" [٢٨].

وقد أجل الرحالة "فالين" (١٨١١-١٨٥٢) رحلته لمدة عام، حتى يتسنى له دراسة برنامج طبى يمكنه من القيام ببعض الممارسات العلاجية، باعتباره طبيبا في المستقبل [٢٩]، و أطلق في بعض الأحيان على الطبيب اسم "الحكيم" و"المداوى" وهو ما حدث مع الرحالة "داوتى" (١٨٢٣-١٩٢٦) حيث عرف باسم الحكيم خليل، وأطلق عليه بعض المزارعين المداوى، وهو نفس الاسم الذى أطلقه عليه بعض سكان البادية[٣٠].

سطوة التقليد الاجتماعى

لم تكن الخدمات الطبية متاحة في شمال الجزيرة العربية، بل ربما كانت معدومة بالكلية، خلال فترة الدراسة [٣١]، وليست هناك أية إشارة الى وجود مستشفيات عامة يهرع اليها الناس حال مرضهم، بل كان العثور على طبيب أمرا صعب المنال في كثير من الأحيان، وأشارت المصادر الى أن الإمام "عبد الله بن فيصل بن تركى" (ت.١٨٩١) خلال إقامته بحائل، تعذر وجود طبيب لمعالجته من مرضه، الى ان تم العثور على طبيب مع مرور وفد الحج الفارسى الذى قرر، في حينه، أن مرضه خطير [٣٢].

ويبدو أن الاعتماد على الاطباء الفرس واستدعاءهم، من آن لآخر، كان أمرا شائعا، فقد استعان الامير "طلال بن رشيد" (ت.١٨٦٩) بأحدهم لتحديد مرضه [٣٣]، كما تم قدوم طبيب فارسى أيضا لاستئصال طلقة استقرت في القدم، اصيب بها الأمير "محمد بن رشيد" (ت.١٨٩٧) منذ وقت بعيد، أثناء حصاره للجوف [٣٤].

والشاهد أن ظهور أطباء متجولين، على فترات متقطعة، كان حدثا بارزا، وقد أشار بالجريف الى تدفق "الكثيرين عليه فى حائل ومن مختلف الأعمار، وكان هناك من طلبه للذهاب معه لمنزله للكشف على أحد أقاربه، وأشار الى أنه تجنب، منذ البداية، التعامل مع النساء والأطفال، لقلة خبرتهم الطبية، وتجنبا للفشل"[٣٥]، كما ذكر الرحالة "داوتى" أنه مارس التطعيم والعلاج نظير استضافته من جانب بعض القبائل، طوال اقامته[٣٦].

وألمح "داوتى" الى أن الناس قد زادوا إقبالا عليه بعد الوثوق به، وأنهم كانوا على معرفة سابقة بالتطعيم، فلم يكن أول من مارس ذلك، وذكروا له وجود شخص من نصارى الشام يدعى "أبو فارس"، كان يمارس التطعيم لهم ضد الجدرى، ثم جاء بعده شخص آخر يدعى سليمان، إلا أن السكان أطلقوا عليه اسم أبو فارس لممارسته نفس المهنة، وصار لديهم اعتقاد أن التطعيم يأتي من النصارى فقط من الشمال[٣٧]، كما أشار في موضع آخر الى "تجمع الناس طلبا للدواء لدرجة الاستجداء"[٣٨]، بل كان هناك "إصرار من جانب البعض على أخذ أي علاج مهما كان نوعه" [٣٩].

وكان المزين (الحلاق) له دوره داخل كل قبيلة، فكان يعهد اليه بمسئولية ختان الصبية، وبحسب إفادة داوتى؛ فإن ذلك يتم عادة بعد تجاوز عمر الصبى ثلاث سنوات، وقد تؤجل الجراحة في حال القيام برحلة، أو في ظل وجود طقس عاصف[٤٠].

و قد بدت خطوات أو إجراءات الكشف على المرضى مألوفة "ومسألة إخراج المريض لسانه للفحص، ومد يده لمعرفة النبض، أمرا شائعا، كما ان لهم اعتقادا في ضرورة فحص الرسغين كل على حدة"[٤١]، و ذكر داوتى أن البعض قد طلب منه قياس

الضغط له، مضيفا أن العرب يعلقون أهمية كبيرة على هذا الإجراء، للاطمئنان على أنفسهم(٤٢).

وقد اختلفت آراء الرحالة حول قضية وجوب عزل المريض عن زيارة الناس له، فأشار بالجريف الى أن هذا الأمر "غير معروف هنا، ويعتبرون أن من الواجب زيارة المريض وتشجيعه"(٤٣) على حين أوضح داوتى أن الناس لديهم "قدر من الثقافة والتجربة، فهم مثلا يعزلون المريض بالجدرى وحده، ويجعلون من سبق له الشفاء من المرض التعامل معه، لأنه صار فى نظرهم محصنا، كما أنهم لا يعطون المريض دواءً خشية الإصابة بالعمى، كما أشار الى استغراب الناس لأنه (داوتى) يأخذ الحيطة والحذر من العدوى، لأنهم يعتقدون أن من يأخذ التطعيم لا يصاب بالمرض(٤٤).

ووفقا للمصادر المحلية؛ فإن إحدى الطرق المتوارثة للوقاية من مرض الجدرى: تعرف باسم الذواقة بتشديد الذال وفتح القاف، وخلاصتها القيام بطهى طعام يحتوى على أجزاء من أنواع مختلفة من اللحوم، كالغنم والبقر والجمل، على شكل قطع صغيرة من كل نوع، ويضاف اليها أنواع الخضروات السائدة، ثم يطهى ذلك كله في قدر، ويعطى المريض منه في الأيام الأولى من إصابته، لاعتقادهم أن المريض سيكون بمنأى عن أية مضاعفات للمرض لاحقا، من خلال ذلك الإجراء(٤٥).

ومن بين القضايا التى أبرزها الرحالة: عدم التزام كثير من المرضى بتعليمات الأطباء، وخاصة الانتظام في تعاطى الدواء، وربما ساهم التقليد الاجتماعى والثقافى السائد في ذلك السلوك، فالكثيرين "قد يعتبرون أن الأدوية التى يطلبونها أو يبتغونها أقل من الرقى والتعاويذ التى ينتظرون منها أن تحدث، فى الحال، تغييرا ماديا محسوسا، دون التزام منهم.. وإذا حدث ولم يشف المريض بعد يوم أو يومين او يتحسن تحسنا كبيرا .. يقولون لم يحدث الدواء أي تقدم، ويتخلون بعدها عن الطبابة والطبيب"(٤٦).

ووصف بالجريف حالة أحد البدو بقوله "وهذا بدوى آخر يعانى من عيب جسمانى تفشل فى علاجه كليات لندن وباريس مجتمعه، مثل اليد الضامرة، والعين العمياء تماما،

يطلب دواء يتوقع بعد أن يستعمله مباشرة، أن يستعيد به كامل عافيته وصحته وسلامته"[٤٧].

وكان منطقيا – في ظل غياب أي رعاية الطبية، فضلا عن قلة الوعى، بل ربما انعدامه – لجوء بعض الناس الى بدائل أخرى، فكان ما أشار اليه داوتى من "تعليق الأحجبة والتمائم، ولاحظ أنها رائجة، فيندر ان ترى طفلا دون تميمة او حجاب، بل هذا يشمل الحيوان أيضا، للوقاية من الحسد"، و أضاف "أن الناس تفضل الأحجبة عن الطبيب، بل ويدفعون له دون تردد وعن طيب خاطر، ولو كان آخر ما معهم من نقود"، كما ذكر أن الأحجبة أنواع، منها ما أسماه أحجبة الناس المشهورين، أي التى كتبها شيوخ مشهورين، وهى مكلفة جدا، والحصول عليها نادر" [٤٨].

كما رصد داوتى المروجين للتمائم والأحجبة، فأوضح أن "بعض المغاربة يقومون، فى طريقهم للحج، وبعضهم فى المدينة – بكتابة الأحجبة، بحيث صاروا أفضل من يقوم بذلك فى تلك المناطق، وخاصة على طريق الحج، وأشار الى الاعتقاد القوى فيها من الناس، وأنها تقيهم من أشد الاخطار، بل إن تفشى تلك الظاهرة دفع داوتى الى مقارنة ذلك بما كان سائدا فى أوربا، فى العصور الوسطى، حيث كان الأمر شائعا، وكان القائمون عليه بعض اليهود[٤٩]. وأشار الى أنه برغم معرفة الناس أنه نصراني، فإن البعض كان يطالبه بكتابة أحجبة لهم، وكانوا مستعدين للدفع لها اكثر من العقاقير الطبية، وأنه كان بوسعه تحقيق ثروة من وراء ذلك [٥٠].

ولعل ما ذكره داوتى هو ما كان شائعا بين البعض من ارتداء ما اطلقت عليه المصادر المحلية "بالحجاب" أو "الجامعة" و يبدو أنها سميت كذلك باعتبار أن الشخص يشدها الى عضده أو صدره؛ لتقيه شر الشياطين وتحميه، وتسهل له كل أمر صعب، بحسب الاعتقاد السائد آنذاك[٥١]. كما حرصت أيضا كثير من النساء البدويات على ارتداء أنواع من القلائد من الخرز، إذ يعتقدن في نجاعة تأثيرها في دفع الأمراض و الوقاية منها[٥٢].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والواقع أنه برغم سعى الرحالة الحثيث لرصد الجوانب الاجتماعية في كثير من الأحيان، إلا انهم قد جانبهم الصواب في أحيان أخرى، مثل اتهامهم للعرب بالتواكل والكسل والمماطلة في دفع أجورهم، دون دليل، وكرر بالجريف أنه خلال فحصه لرجل، وكلما سأله عن سبب مرضه أجاب الرجل مرارا وتكرارا "السبب يا دكتور هو الله"(٥٣)، كما ردد داوتى عبارات البعض في مثل تلك المناسبات - "اتكالنا على الله، الحكيم والشافى هو الله" - بصورة تهكمية دون ادراك أن ذلك لا يعد تواكلا بقدر ما هو تجسيد لإيمانهم العميق، والرضا بالقضاء والقدر في كل احواله، دون التفريط أو الإهمال بالأخذ بالأسباب ومنها اللجوء الى الأطباء(٥٤)، وقد ناقض بالجريف نفسه، فتارة يقول "ان العرب لا يدفعون مطلقا، أو يدفعون بعد الشفاء، وإن عاد ليقول إنه، فى بعض الحالات، يتم الاتفاق على دفع مبلغ معين ويتم الوفاء به(٥٥).

كما أن دواتى قد بالغ بدوره فى اتهام الناس بالبخل، وقد تغافل كثيرا عن ذكر ما دفعوه له، سواء نقدا أو عينا، وخاصة استضافته، ويجب ألا ننسى أن إسباغ الحماية وتوفير الأمن أمر له أهميته فى هذا الصدد، فضلا عن تجاهله لندرة النقود بين الناس، وحالة الفقر بوجه عام. وفى بعض المرات لم يجد رجل شيئا يعطيه للحكيم سوى أن يخلع له ثوبه ثمنا له، فسامحه على الدواء (٥٦).

الصحة والبيئة

حظيت العلاقة بين الصحة والبيئة باهتمام الرحالة على تنوعهم، وكانت قاسما مشتركا في نصوصهم، فأفاض معظمهم في الربط بين البيئة السائدة وأثرها الوثيق على الصحة العامة للسكان، فعلق الرحالة فالين على أثر الظروف المناخية بقوله "فالأجزاء الغربية من شبه الجزيرة مناخها جيد صحى، وجميع السكان يقولون إن المدينة وجبل شمر والجوف مناطق صحية جدا، فى حين يشكو من سوء المناخ فى الرياض والمحلات الشرقية بنجد، وتتفشى الحميات أكثر ايام السنة" (٥٧)، كما لاحظ أن ارتفاع الرطوبة يصاحبه عادة "أمراض صدرية، وهى أمراض نادرة فى الداخل"(٥٨).

كما نوه بدور الهواء النقي في توفير بيئة صحية ومساهمة المناخ الجاف في القضاء على الفضلات والمخلفات [٥٩]، وعند وصفه للحالة العامة التي بدا عليها أهالي مدينة "جبة"، إحدى المدن التابعة لإمارة حائل، أوضح فالين أن "بشرتهم تبدو سقيمة وأجسامهم ضعيفة وفي بلدتهم امراض عديدة تتفشى، وقد يكون هذا سببه ملوحة الماء، والتمر غير الجيد الذي هو الغذاء الرئيس للسكان[٦٠].

وعلى نفس المنوال وصف بالجريف البدو، خلال قدومه من الجوف متجها الى حائل، أن "وجوههم هزيلة يشع منها الجوع، وبشرتهم سوداء بفعل الأقذار والأوساخ الناجمة عن رداءة الطقس"[٦١]، كما عزا "بالجريف" "التهاب غشاء المعدة المخاطي المزمن، بل قرحة المعدة المميتة التي تنتشر بشكل ملحوظ بين عرب المنطقة الوسطى من الجزيرة العربية – الى استمرار اتخاذهم التمر غذاء لهم"[٦٢]، وفي موضع آخر، وعلى نقيض ما سبق، امتدح بالجريف بنية سكان الجوف وتمتعهم "بالصحة والنشاط، حتى في سن متأخرة، وقد يشترك بعض الشيوخ في السبعين في المعارك، وهم طوال القامة وأجسامهم متناسقة" [٦٣].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعند دخولها مدينة حائل، عبرت "آن بلنت" عن انبهارها الشديد بنظافة شوارع المدينة على نحو غير مألوف [٦٤]، بينما وصف "هوبير" حالة السكان بقرية العيون، في طريقه من حائل الى القصيم، في صورة قاتمة بقوله: "فالرجال بشكل خاص لم يكتمل نموهم، وهم قصيرو القامة، قبيحون هزيلون، ووجوههم باهته وضامرة" [٦٥]، وتساءل في موضع آخر عن الأسباب التي أدت الى خلو بعض البلدان من السكان، ربغم توافر الماء والغذاء بها، مرجحا أن يكون ذلك "بتأثير الهواء المتخم بالهوام المنبعثة من المياه الراكدة . . "[٦٦].

كما حفلت نصوص الرحالة بإشارات كثيرة حول الأنماط والعادات الغذائية السائدة، فنوه بالجريف بالفوائد الصحية للتمر، وإقبال البدو والحضر عليه، حيث يقوم لديهم مقام الخبز[٦٧] كما أشار كثيرون الى استخدام نبات السمح كغذاء يحظى بالقبول[٦٨]، والاعتماد

على الرمان باعتباره علاجا ناجعا لأمراض الكبد[٦٩]، كما وصف "فالين" أنه بالقرب من تبوك يوجد "نبات حريف طعمه لذيذ جدا، وله بعض الشبه بنبات الرشاد الذى ينمو فى بلادنا ... وعرب المدن يجففونه ويستعملونه فى الهضيم ويدعونه رشادا"[٧٠].

وتكررت الإشارات الى الأهمية الغذائية لحليب النياق، وثمرة "المصاع"[٧١]، وبالمقابل حذر البدو من "حليب الغنم لأنه يؤدى الى السمنة أكثر مما يقوى البدن، وقد يسبب أمراض القولون، ويجب معالجته قبل أن يكون صالحا للشرب"[٧٢]، وأشار داوتى الى "اعتقاد الأعراب أن لحم الذئب جيد جدا من الناحية الطبية، ومفيد من أجل آلام السيقان الشائعة جدا، لأن الأغلبية يمشون حفاة الأقدام وعراة السيقان، في جميع فصول السنة"[٧٣].

وعلى صعيد آخر؛ تطرق كثير من الرحالة الى رصد الأوبئة التى حلت بالبلاد من وقت لآخر، فأشار بالجريف الى انتشار وباء الكوليرا فى الجزيرة العربية عام ١٨٥٥[٧٤] كما نقل دواتى عن مرافقيه لقافلة من الحجيج حديثهم عن اجتياح وباء الكوليرا، وهلاك الكثيرين من الحجاج، وسميت بسنة الكوليرا، حتى انه كان يدفن مائة شخص فى يوم واحد، دون توافر أية رعاية طبية[٧٥].

ومن الاوبئة الأكثر انتشار: وباء الجدرى، وكان منتشرا بين الكبار والأطفال، وإن كان انتشاره بين الأطفال اكثر، وربما أدى الى فقد عين واحدة أو الاثنتين، ويترك تشوهات بالوجه نتيجة البثور، وقد صادف وجود الجدرى، فى عنيزة، خلال تواجد دواتى بها عام ١٨٧٨، بعد أن انقطع، كما أشار الناس، سبع سنوات، وفسر انتشار الوباء بوجود بعض القوافل العائدة من الحج[٧٦] وكان بها بعض الرقيق، في طريقه الى القصيم ثم نقله الى العراق، فكان ذلك سببا فى انتشار العدوى[٧٧]، وبنبرة أشبه بالرثاء تطرق داوتى الى النتائج الوخيمة لوباء الجدرى بقوله: "تأكد لى الآن أن الجدرى قد انتشر بين الحجيج، وهذا المرض المرعب، وحمى الكوليرا، هما سبب فناء الجزيرة العربية البدوية، لأن أجسامهم سيئة التغذية، ولا توجد سوى مقاومة ضئيلة"[٧٨].

وفى تقرير آخر، ذكر الرحالة "أوتينج" "أن سكان بلدة "موقق" إحدى القرى التابعة لإمارة حائل، كان يتراوح في السابق ما بين خمسة آلاف وسبعة آلاف نسمة، ولكنهم اضطروا بسبب الطاعون والكوليرا الى الهجرة، فلم يبق منهم الآن سوى ألف أو ألف ومائتين نسمة على أقصى تقدير"(٧٩)، ولا يمكن بالطبع التكهن بمدى صحة التقدير السابق، وربما كان مبالغا فيه، في ظل عدم وجود إحصاءات موثوقة، لكنه يظل مؤشرا على فداحة الأثر الاجتماعى للأوبئة والأمراض (٨٠).

وقد وصف داوتى ذات القرية "بأنها صارت خرائب، وكذلك القرى المجاورة لها مثل "قفار"، كما هلك "بواسط" نحو ثلاثمائة شخص، أما في "حائل فقد هلك شخص أو اثنان من كل أسرة ... وأن البدو اللذين زاروا حائل في زمن الطاعون قد هلكوا بأسرع من أهل البلدة، مع أن العدوى كانت أخف في الصحراء، ولم تنتشر في منازلهم كمرض قاتل ... كان المرض يصيب الرأس والأمعاء، البعض مات في اليوم نفسه، والبعض ظل لفترة أطول، والعلامات المرضية لدى المصاب بالطاعون هى بقعة سوداء تظهر على الأنف، وتغير لون الأظافر والآلام هى تقريبا نفس الآم الكوليرا ... ثم نزلت بالبلاد بعد ذلك حمى خبيثة لمدة عامين"(٨١).

والى جانب الأوبئة والأمراض، كانت هناك أيضا كوارث أخرى لا تقل اثرا في فداحتها، مثل سنوات القحط والمجاعة، وعدم سقوط الأمطار، وقد وعرض أوتينج الى حديث بعض النساء معه عن عام المجاعة" حيث لم يثمر النخيل واضطر الناس الى ذبح الأبل"(٨٢)، وخلال طريقه الى حائل نقل داوتى عن مرافقه قوله "أن الماشية قد نفقت لعدم سقوط المطر، وهلك بعض الناس من جدرى البقر، وأن تلك الكوارث ليست غريبة على أطراف الجزيرة العربية"(٨٣).

وبطبيعة الحال القت الأوبئة والأمراض التى كانت تحدث بصفة دورية، فضلا عن الكوارث الطبيعية على تنوعها، بظلالها على مجمل الأوضاع السياسية والاجتماعية

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لشمال الجزيرة العربية[٨٤] وربما كان في مقدمتها بطء النمو السكانى لانعدام الرعاية الصحية[٨٥].

المـرأة والتطبيب

كانت مساهمات النساء موضع ثناء كثير من الرحالة، بل أوضح "جورمانى" أن دورهن لم يكن محصورا في نطاق الظروف العادية فحسب، وانما كان لهن دور أثناء المعارك الحربية، فكن يقمن "بوقف نزيف الدماء بالرمال والذرور، وتضميد الجراح بالعصائب"[٨٦].

وأشار دواتى الى أنه عندما تم "العثور على نبتة جديدة غير معروفة، حملوها الى النساء لفحصها، لأن من صفات ربة المنزل بينهم أن تكون بارعة في العقاقير والنباتات الطبية"[٨٧].

ولعل الفقرة الاخيرة تشير بوضوح الى أن التطبيب ليس ترفا، وإنما هو جزء رئيس من الأعباء الملقاة على عاتق النساء، وطوال رحلته من حائل الى خيبر، وصف داوتى الإقبال المتزايد عليه من النساء، عندما "علمن أننى مداوى، ويحملن الأقط أو قطع اللبن الجاف[٨٨] لشراء الأدوية ... وأضاف أن إحداهن أخبرته أن أخيها مصاب بالريح أو الملاريا، وأنها انحنت بشكل متعمد لتتفحص عقاقيرى باليدين المتمرستين لامرأة حكيمة بالنباتات الطبية"[٨٩].

وقد قص جورمانى تجربته في العلاج، عقب إصابته بالتسمم بعد أن شرب ماء ملوثا فى إحدى المغارات، حيث أصيب بالتقيؤ وصداع شديد، وهبوط عام في قواه الجسدية، ولم ينقذه سوى نقله سريعا الى خيمة قريبة لأفراد من قبيلة الصلب، ووجد نفسه محاطا ببعض النساء "يُفرك بالسمن ويسقى من حليب النوق، وامرأتان تقومان بتدليك عموده الفقرى بالسمن، وتدليكه تحت إبطه وفى صدره، حتى استرد وعيه"[٩٠].

ولم تكن تلك هى المرة الوحيدة التى عرض فيها جورمانى لتصدى النساء لعلاج المرضى، فقد أشار الى "قيام امرأة عجوز بعلاج مرافقه من رمد قوى بمداوته بالكحل، ثم

بعد ذلك بمغلى رؤوس الماعز وقوائمها التى تغلى بوبرها، وهذا العلاج يعد عاما في الصحراء لأجل جميع أمراض العيون وخاصة للكمه (عشى الأبصار)، وينبغى أن يمكث المريض، وهو مغطى بعباءتين، فوق القدر بعد رفعه عن النار، الى ان يتوقف تصاعد البخار"[٩١].

ولم تكن الحجامة مهنة قاصرة على الرجال فحسب، وانما أشار داوتى الى أن بعض النساء اتخذنها أيضا حرفة لهن"، كما أن النساء أيضا هن الأكثر استخداما للأعشاب والعقاقير، وهن المنوط بهن البيع والشراء للنباتات الطبية، مثل الحلتيت والصمغ لعلاج التشنج، والحبة السوداء وأنواع العلك، ومما أثار دهشتهن تفاعل بعض المركبات وغليانها دون نار" [٩٢].

وبطبيعة الحال؛ كان داوتى محقا في ملاحظته الثاقبة من "أن النساء يقمن بالتطبيب أكثر من الرجال، ولم يقدم تفسيرا لذلك "على حين ذهب البعض الى أن ذلك يعود الى طبيعة البيئة والحياة البدوية، أكثر من المدن التى يفسح فيها المجال للنساء فى التجارة، وخاصة على طرق الحج، وانشغال الرجال بصد غارات القبائل أو الخروج للغزو[٩٣].

وكانت أدوات الزينة ووسائل النظافة محل اهتمام النساء، كاستخدام الحناء لصبغ الشعر، واستخدام بول الإبل (العبس) لغسل شعورهن به، لتأثيره الفعال في تقوية الشعر ونظافته. وقد وصف الرحالة شعرهن "بالسواد والكثافة نتيجة استخدامهن لزيت لحاء النخيل، والدهن المصفى من ذنبة الشاة لا رائحة له، ولا يسبب أية اضرار"[٩٤]، كما أشار داوتى الى شيوع استخدام الرجال والنساء للكحل، سواء في البادية أو الحضر، لاعتقادهم القاطع في فائدته للنظر[٩٥].

وبطبيعة الحال، لم يكن أمام الناس خلال فترة الدراسة بدائل علاجية، فاضطروا الى استخدام المتاح لهم من بيئتهم، والذى بدا في بعض الأحيان مفيدا، وفى أحيان أخرى

غير مفيد، كما رسخ لدى البعض لأسباب مختلفة: قناعة بأن هناك بعض الأمراض لا يجدى معها سوى ممارسات الطب الشعبى[٩٦].

و قد لفت انتباه "بالجريف" أن النباتات الطبية الشائع استخدامها هى "نباتا السنا والحنظل ... وهما الدواءان اللذان لا يعرف اهل الجزيرة سواهما، ويشيع بين البدو اللذين يصابون بالإمساك استخدام جرعة مستخلصة من مملكة زهرة الكاميلية، وهم يتناولونها دون تخفيفها بالماء"[٩٧]، كما ذكر استخدام نبات "الداتورا أو تفاحة الشوك، وهو من النباتات السامة، في أعمال الدجل والشعوذة"[٩٨]، ولم يفت بالجريف الاشارة، بثاقب نظره، الى وجود مدعين للطب "من المغاربة والبلوخ المتجولين، لم يحققوا في رأيه نجاحا، وليسوا موضع ثناء من أحد"[٩٩].

ومن الطريف والمثير للانتباه معا؛ حديث داوتى عن معرفة الناس لبعض أدوات العلاج الحديثة، مثل "مثقب العين وإن كانوا لا يعلقون عليه أملا، ربما لأنهم لم يجربوه وأنه لازال جديدا، كما أشار الى علمهم بوجود مراهم موضعية للعيون"، ويبدو أن غسيل العين لم يكن معروفا، لأنهم كانوا يتزاحمون على بابه طلبا لهذا العلاج الذى كان يوزعه، على حد قوله، مجانا[١٠٠].

ومن الأهمية بمكان؛ الإشارة الى توافر بعض الأدوية الإنجليزية بين أيدى الناس، وكانت تأتى مع قوافل التجارة التى تجلب معها العديد من البضائع والسلع، ومنها الأدوية من الهند، وقد عبر داوتى عن دهشته حينما وصف دواءً لرجل، وكان يظن عدم وجوده بالأسواق لحداثته، ولكنه فوجئ بحصوله عليه فى نفس اليوم، كما حرص الكثيرون من أفراد الطبقات العليا، من الوجهاء والتجار، على جلب التطعيمات المختلفة من الخارج، صحبة القوافل التجارية العائدة، لاستعمالهم الخاص هم وذويهم"[١٠١].

الأمراض الشائعة وطرق العلاج

يمكن القول بأن الأمراض التى غلبت على سكان شمال الجزيرة العربية، بحسب ما رصده الرحالة، هى على النحو الآتي :

أولا: أمراض العيون، وقد احتلت المرتبة الأولى، وقدر البعض أن شخصا من كل ثلاثة مصاب بالعمى، مما يدل على مدى تفشى أمراض العيون بين السكان(١٠٢)، وقد لاحظ داوتى وجود الكثير من العميان اللذين أصيبوا فى وقت لاحق، وليس منذ ولادتهم، كما أشار الى انتشار الكمه، أي العشى الليلى، محذرا من تفاقم ذلك المرض، إذا ما كان متزامنا مع الجدرى، فيؤدى حينئذ الى العمى الكامل (١٠٣)، وكان من أنواع الرمد، الشائعة آنذاك، ما أطلق عليه العامة اسم " أبو أطبيق" (١٠٤).

والعلاج المستخدم لأمراض العيون عادة هو الكحل، وأيضا كما سبقت الإشارة، التبخير بمغلى رؤوس الماعز وقوائمها (١٠٥).

ثانيا: الأمراض الوبائية، مثل الجدرى والكوليرا، وقد سبقت الإشارة الى توالى تلك الأمراض بصفة دورية من آن لآخر، وتركت تأثيرا فادحا على التركيبة السكانية، وخاصة في البادية (١٠٦).

ثالثا: أمراض الكبد، والمستخدم في علاجها الرمان على نحو ما قد سبق، ومن بين طرق العلاج أيضا، بحسب ما أشار البعض اليه، هو "قطع ذيل النعجة بالكامل وهى حية، ثم يقسم الى قسمين: مسطحا ويلف به المريض على محل الكبد، بحيث يبقى الطرف الخارجى من الذيل ذى الشعر فى الخارج، وذلك لمدة أربع وعشرين ساعة، ثم يرفع الذيل من على المريض، ويظهر على جسمه بقع سوداء، فيتم كى اطراف هذه البقع بإبر احمرت في النار، ثم يأخذ المريض بالحمية الشديدة لمدة اسبوع، كما تعالج آثار الكى بالمراهم" (١٠٧).

رابعا: أمراض ارتبطت بمناطق بعينها، على نحو ما ذكر بالجريف عن قرحة المعدة، وهى أكثر شيوعا بين عرب شمال ووسط الجزيرة العربية، بسبب الاعتماد على التمر كوجبة غذائية، موضحا أن الإفراط في تناوله يؤدى الى التهاب غشاء المعدة المخاطي المزمن، بل قرحة المعدة المميتة، على حد قوله. وعلى نفس الشاكلة أشار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرحالة فالين الى انتشار مرض الزهرى في بلدة سكاكا، إحدى القرى على طريق حائل – من الدرجتين الثانية والثالثة، ونوه داوتى بشكوى أهل تيماء من أمراض الكلى [١٠٨].

خامسا: أمراض الحكة والحساسية، وصداع الرأس النصفى والذى قد يؤدى الى العمى اذا ما اقترن بأمراض العيون، والحميات بفعل المياه الراكدة، والروماتيزم المزمن، إضافة الى الرشح والزكام الشائع بين الأطفال [١٠٩]. وقد أشار داوتى الى بعض الأمراض النادرة، مثل معالجته لسيدة كانت تشكو من ألم في عصب الوجه، وربما هو ما أطلق العامة عليه ابا الوجيه، وينتج عنه ميلان بسيط في الوجه[١١٠].

سادسا: أمراض مجهولة، وعادة ما أطلق عليها السكان المحليون "السكنى بالجان، والنفس والسحر، والريح أو الارياح، والعلاج المستخدم في تلك الحالات: هو الرقية، وهى قراءة بعض آيات القران الكريم، ويتبع نفس الإجراء أيضا عند الإصابة بلسعات العقرب[١١١]، كما يسمى عادة الشخص الملدوغ بالقريص او المقروص، وهم يسهرون حوله طوال الليل حتى لا ينام، لاعتقادهم أنه إذا نام الشخص فإن السم يسرى في جسده ويختلط بدمه، ومن ثم يموت، ولا يسمحون له بالنوم الا في وقت معين من الصباح الباكر، لاعتقادهم ان الافعى التى لدغته تكون هى الأخرى في حالة نوم، ويسمونها بالصفرة [١١٢].

ومن أساليب العلاج التى اجمع الرحالة على شيوعها: "العلاج بالكى ويتحمله الناس بصبر يستثير الدهشة والعجب"[١١٣]، وأوضح البعض أنه تم "علاج أمراض التيفوس وأمراض الحمى، وكافة أمراض الرأس، بعملية كى ما يسمى بالمخمس، وهى مجمع العروق وهى الحفرة الواقعة في الرأس، وفي الحد المشترك بين عظم الجمجمة والجبين، والشريان الواقع خلف الأذنين، وأيضا خلف قمة الرأس قليلا "[١١٤].

وقد برعت قبائل بعينها في الطب والتطبيب، فأثنى كثير من الرحالة على قبيلة الصليبة وذيوع شهرتها في الممارسات الطبية، فهم "متميزون عن غيرهم من القبائل، وهم يعملون فقط بصيد النعام والغزال، ويحكى عنهم الكثير، ومنه: أنهم أجروا جراحات فى

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

البزل واستخراج الحصى، وهى تحتاج الى مهارة دقيقة، كما يعالجون الكثير من الأمراض المعقدة"(١١٥).

ولا شك أن أحد الإشكاليات المطروحة بالضرورة هو: الى أي مدى نجح الرحالة الغربيون في رصد الأحوال الصحية، في شمال الجزيرة العربية، خلال فترة الدراسة؟ والواقع أنه من الصعوبة بمكان الجزم بأنه قد تم رصد الجوانب الصحية برمتها، فمن جهة أولى لم تكن نظرة الرحالة وهواجسهم واحدة، ومن جهة ثانية؛ فان سياق وملابسات الرحلة لم يكن نمطا موحدا لدى الجميع، وفيما يبدو؛ فقد تركت موجات الشعور بالدهشة والإعجاب والترحيب تارة، والخوف والهلع وربما السخط والغضب تارة أخرى – أثرا باقيا على مجمل تجربتهم ورؤيتهم.

وبرغم النظرات الثاقبة ودقة الملاحظة التى بدت، على نحو خاص، في كتابات "بالجريف وداوتى"، فإن بعض الأمراض وطرق علاجها لم يتم رصدها، وقد ورد في بعض المصادر التراثية أمثلة مختلفة منها: "الوشرة" وهو مرض يصيب الرأس، ويعالج من خلال وضع عجينة من الطحين على رأس المريض، ثم ينتظرون بعض الوقت، حيث يتم كى المكان الذى يجف أولا، لاعتقادهم أن الموضع الذى جف بسرعة هو موضع الإصابة(١١٦).

وكذلك مرض "البلش"، وهذا المرض يظهر على هيئة قروح على جسم المريض تشتد وتتضاعف، والسبب الرئيس له هو الشرب، أو الاغتسال من المياه الآسنة، ويعتمد في علاجه على شجيرة تسمى "العلقة" وهى نبتة برية تخرج في الربيع، فيشرب المريض من منقوعها ويغتسل به(١١٧).

ويمكن القول أخيرا بأن كتابات الرحالة قد أضاءت، الى حد كبير، أحد الجوانب الاجتماعية الهامة، وقدمت لمحات هامة عن الجوانب الصحية التى سادت شمال الجزيرة العربية، خلال القرن التاسع عشر، في ظل ندرة المصادر المحلية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خاتمـــة

كان شمال الجزيرة العربية موضع اهتمام الرحالة الغربيين، طوال القرن التاسع عشر، فوفد اليه الكثيرون لأغراض مختلفة، وارتدى الأغلب الأعم منهم مسوح الاطباء، بهدف تأمين أوضاعهم الاجتماعية في المقام الأول، فصاروا موضع قبول وترحيب، كما أتاح لهم ذلك سبر أغوار الأحوال الاجتماعية بعد رؤيتها عن قرب.

وبرغم اختلاف الأولويات من رحالة لآخر، فقد استطاعوا في نهاية المطاف تقديم صورة نابضة عن الحياة الاجتماعية، وفى مقدمتها الأحوال الصحية، برغم التعالى وعدم الإنصاف من بعضهم، مثل بالجريف وداوتى- تجاه الاسلام والتراث الطبى للعرب والمسلمين بصفة عامة.

ونظرا لانعدام الخدمات الصحية وندرة وجود أطباء آنذاك، لم يكن هناك من سبيل سوى الاعتماد على البدائل التى رسخها التقليد الاجتماعى المهيمن، بغض النظر عن مدى نجاعتها. وبرغم تمسكهم بالحصول على التطعيمات والأدوية، إلا أن ذلك لم يحل دون لجوء البعض الى الرقى والتعاويذ واستخدام الاحجبة، مهما كلفهم من مال.

وقد أوضح الرحالة العلاقة الوثيقة بين الصحة والبيئة، كما رصدوا شيوع العديد من الأمراض المرتبطة بملوحة المياه، وسوء بعض العادات الغذائية، كما عرضوا للآثار المدمرة الناجمة عن الكوارث البيئية، والأوبئة والامراض الدورية التى حلت من آن لآخر.

وقد أبرز الرحالة دور المرأة على نحو فعال، فكن الاكثر ممارسة للتطبيب؛ في ظل الانشغال الدائم للرجال في الدفاع والغزو، كما كانت النساء الأكثر دراية بالأعشاب والنباتات الطبية وكيفية استخدامها، بل كان لذلك الجانب أثر هام في إعلاء مكانة المرأة الاجتماعية. ويمكن القول أخيرا: إن أدبيات الرحالة ربما لم تعرض حصرا كاملا لجميع الظواهر والجوانب الصحية؛ التى كانت سائدة بشمال الجزيرة العربية، إلا أنها أبرزت جوانب عديدة، منها على الأقل: الأمراض الأكثر شيوعا، ووسائل العلاج المتاحة آنذاك.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولعله من نافلة القول؛ الإشارة الى تعويل العديد من الشرائح الاجتماعية على تفاوتها، ولأسباب متباينة، بصورة متزايدة على ما يسمى بالطب الشعبى، على تعدد مسمياته وممارساته، ولعل ذلك يكون حافزا لإجراء المزيد من الدراسات البحثية، القائمة على الملاحظة المباشرة، من جانب الهيئات الطبية والاجتماعية المعنية، للوصول الى آلية علمية واجتماعية تمكن من الاستفادة من ذلك التراث على نحو أمثل.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوامـــش :

(١) العقبى، أحمد حسين، التنافس الإنجليزي الفرنسى في شبه الجزيرة العربية في القرن الثالث عشر الهجرى التاسع عشر الميلادى، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٣٠ هـ، ص ٧٨-٧٩.

(٢) لم تسر الرحلات على وتيرة واحدة، كما تعددت بدورها الأهداف من رحالة لآخر فغلب على البعض رصد الجوانب السياسية والاجتماعية لعل من أبرزها أعمال بالجريف ودوتى، كما اهتم آخرين بالجوانب الطبوغرافية والبيئية على نحو ما جاء في دراسات فالين، بينما حرصت أطراف أخرى بولع شديد على الاستحواذ على الشواهد الاثرية وشحنها الى اوربا مثلما فعل هوبير وأيتنج مع حجر تيماء، راجع، بلى، لويس رحلة الى الرياض، ترجمة، الشيخ، عبد الرحمن عبد الله، الجهنى، عويضة متريك، الطبعة الاولى، ١٩٩١، المقدمة، ص ز، العثيمين، عبد الله صالح، قراءة في دراسات عن إمارة آل رشيد، الطبعة الاولى، ٢٠٠١، ص ٨٥.

(٣) البادى، عوض، الرحالة الأوربيون في شمال وسط الجزيرة العربية، منطقة حائل، ١٨٤٥-١٩٢٢، الجزء الأول، الطبعة الأولى، نادى حائل الأدبي، ٢٠١٤، ص٩-١٠.

(٤) كحالة، رضا، جغرافية شبه جزيرة العرب، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ١٣٦٤ هـ، ص ١٢٤.

(٥) العثيمين، المرجع السابق، ص ٤٣-٤٤، الريحانى، أمين، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، بيروت، د.ت، ص ١١١-١١٢.

(٦) الشمرى، خليف بن صغير، إمارة حائل في عهد الأمير طلال ابن رشيد، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القصيم، ٢٠١٤، ص ٣٨، البادى، مرجع سابق، ص ١١.

(٧) المقصود دراسة الشبل، عبد العزيز بن صالح الهامة، بعنوان "الأوضاع الصحية في شمال الجزيرة العربية من خلال ما كتبه الرحالة شارلز دواتى في كتابه رحلات في الصحراء العربية"، الدرعية، السنة الرابعة، العدد الرابع عشر، يوليو ٢٠٠١.

(٨) تعرضت الدراسة بحسب إطارها الزمنى الى الكتابات التى خلفها الرحالة على النحو الآتى:

رحلة فالين (١٨١١-١٨٥٢) وقد زار جبل شمر مرتين، الاولى عام ١٨٤٥ والثانية عام ١٨٤٨، بالجريف (١٨٢٦-١٨٨٨) وكانت زيارته عام ١٨٦٢، جورمانى (١٨٢٨-١٨٨٤) التى كانت زيارته عام ١٨٦٤، داوتى (١٨٤٣-١٩٢٦) وكانت رحلته عام ١٨٧٨، رحلة آن بلنت (١٨٣٧-١٩١٧) وزوجها ولفريد بلنت (١٨٤٠-١٩٢٢) عام ١٨٧٨، رحلة هوبير (١٨٤٧-١٨٨٤) الأولى عام ١٨٨٠، ثم كانت رحلته المشتركة مع أويتنج (١٨٣٩-١٩١٣) عام ١٨٨٣، وأخيرا رحلة البارون نولده (١٨٤٩-١٨٩٥) وكانت عام ١٨٩٣.

(٩) راجع، البستاني، بطرس، محيط المحيط، مكتبة لبنان، ١٩٨٣، ص ٥٤٣.
(١٠) ابن منظور، لسان العرب، ج١، مادة طبب، ص ٥٥٣ -٥٥٤.
(11) Abouseif.Doris Behrens.The Image of The Physician in Arab Biographies of The Post Classical Age.Der Islam.1989.p.33
(١٢) المقدمة، ص ١٨٠-١٨١.
(١٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(١٤) المرجع نفسه، ص ١٧٩.
(١٥) نفسه، ص ٢٢٤.
(١٦) الطشاكبيرى،أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، الجزء الاول، القاهرة ١٩١١، ص٢٨٥-٢٨٦، وأيضا، خليفة، حاجى، كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون، الجزء الاول، استنابول، ٨٩٢، ص ٣٨٦.
(١٧) بالجريف، وليم جيفورد، وسط الجزيرة العربية وشرقها (١٨٦٢-١٨٦٣) ترجمة، حسن، صبرى محمد، المجلس الاعلى للثقافة، ٢٠٠١، ص ٢١٠.
(١٨) اشار بالجريف بنفسه الى ذلك المنحى وانه "بعكس ما ذهب اليه كل من فالن وولستيد اللذان كانا اهتمامهما حصرا على الجوانب الطبوغرافية"، المرجع السابق، ص١٣.
(١٩) المرجع نفسه، و ربما كان ذلك لخدمة مشروعه السياسى ص ١٩٠.
(٢٠) نفسه، ص ١٨١، لم يكن ذلك موقف عاما للمستشرقين، فالمستشرق الألماني ماكس مايرهوف (١٨٧٤-١٩٤٥) على سبيل المثال كان من أبرز المستشرقين الذين أنصفوا التراث الطبى للعرب والمسلمين وله الكثير من الدراسات في هذا الشأن، راجع
Meyerhof. Max.The Book of Treasure ,An Early Arabic on Medicine ,The History of Science Society ,Vol.14.No.1.May.1930.
(٢١) حسين، محمد كامل وآخرون، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د.ت، ص ١٣.
(٢٢) المرجع السابق، ص ١٣-١٤، وراجع أيضا، نافعة، حسن، بوزورث، كليفورد، تراث الاسلام، الجزء الثانى، ترجمة، مؤنس، حسين، العمد، إحسان صدقى، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨، ص ١٢٨-١٢٩.
(٢٣) المرجع نفسه، ص ١٧.
(24) Ian Blecher.Robert ,The Medicalization of Sovereignty :Medicine Public Health And Political Authority In Syria,1861-1936.Stanford University ,2002.pp.36-37.
(25) Blunt. The future of Islam.London kegan paul.1882.p.134
Cromer.modern Egypt.London.vol 2.1908 p.134 و راجع ايضا
(٢٦) بالجريف، مرجع سابق، ص ٢١١، كان ذلك أيضا هو موقف الرحالة داوتى الذى كان حريصا في داخله على كبرياء العصر الفيكتورى واتهم بغلظة وجفاء منذ اللحظة الاولى

العرب والمسلمين بالتعصب، راجع، شاز، راشد، الطريق الى الجزيرة العربية، الدار العربية للموسوعات، الطبعة الاولى، ٢٠٠٧، ص ١٨٨ وأيضا ٢٣٦.

(٢٧) المرجع السابق، ص ٢٣، وقد اعتذر في موضع اخر لانتحاله شخصية الطبيب متعللا " بظروف رحلته رغم انه لدية بعض الخبرة للحالات العادية "، ص١٧٦، وقد ذكر بالجريف اصطحابه لبعض المراجع الطبية وبعض العقاقير والأدوات الطبية، نفسه، ص ٢٢.

(٢٨) نفسه ص١٩٠، ويبدو أن التنكر في شخصية الطبيب كان أمرا شائعا بين كثير من الرحالة، حيث تنكر الرحالة الفرنسى لوكا Paul Lucas الذى زار مصر في مطلع القرن الثامن عشر في زى طبيب وجامع للأعشاب الطبية، راجع، ذهنى، الهام محمد على، مصر في كتابات الرحالة و القناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٢، ص-٥٧-٥٨.

(٢٩) البادى، مرجع سابق، ص ١٨.

(٣٠) الشبل، مرجع سابق، ص ٣٠٣.

(٣١) لم يكن الأمر قاصرا على منطقة جبل شمر وحدها، بل كان شائعا في كثير من بقاع شبه الجزيرة العربية، راجع، المقيرن، محمد بن مقرن، تطور القطاع الصحى في منطقة الرياض من عهد الملك المؤسس الى عهد خادم الحرمين الشريفين، قراءة تاريخية، دارة الملك عبد العزيز، العدد الثانى ربيع الآخر ١٤٢٥ هـ، السنة الثلاثون، ص ٤٥.

(٣٢) أبو علية، عبد الفتاح حسن، تاريخ الدولة السعودية الثانية، ١٢٥٦-١٣٠٩ هـ، ١٨٤٠-١٨٩١، الطبعة الرابعة، دار المريخ، الرياض، ١٩٩١، ص ٣١٥، ومما يذكر ان الأمير طلال ابن رشيد قد كشف من جهوده الدبلوماسية حتى نجح في ان يجعل طريق الحج العراقى المرور بجبل شمر ومن ثم فإن القوافل كانت تجتمع في الزبير أو النجف وتتجه جنوبا الى جبل شمر ومنها الى البقاع المقدسة وكان لهذا الإنجاز نتائج هامة على الصعيدين السياسى والاجتماعى، راجع، المفضلى، مشعل بن مهجع، الصلات الحضارية بين جبل شمر وجنوب العراق، الطبعة الاولى، ٢٠١٤، ص ٣٣٦-٣٣٧.

(٣٣) داوتى، تشارلز،رحلات داوتى في الجزيرة العربية، ترجمة عدنان حسن، الطبعة الاولى، دار الوراق، ٢٠٠٩، ص ٢٢٤.

(٣٤) المرجع السابق، ص ٢٣١، وغير معروف على وجه الدقة هل تم استدعاء الطبيب الى حائل، أم أن الأمير ارتحل الى العراق لاستخراج الطلق النارى الذى كان بقدمه، ويبدو أن الرأى الأخير هو الأرجح، راجع، الحماد، حمد بن عبد الله، حكم محمد بن عبدالله الرشيد لنجد(١٢٨٩-١٣١٥هـ)(١٨٧٣-١٨٩٧)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، ٢٠٠٤،ص ٦٦.

(٣٥) بالجريف، مرجع سابق، ص ١٧٧.

(٣٦) الشبل، مرجع سابق، ص ٢٧٧.

(٣٧) المرجع السابق، ص ٢٨٢-٢٨٣.

(٣٨) داوتي، المرجع السابق، ص ٢٧١.

(٣٩) أوتينج، يوليوس، رحلة داخل الجزيرة العربية، ترجمه وعلق عليه، السعيد، سعيد بن فايز، دارة الملك عبد العزيز، ١٩٩٩، ص ١٠٧.

(٤٠) داوتي، مرجع سابق، ص ١٤٠-١٤١.

(٤١) بالجريف، مرجع سابق، ص ٢٠١.

(٤٢) داوتي، مرجع سابق، ص ٢٣٨.

(٤٣) بالجريف، مرجع سابق، ص ٢٠١، ونوه البعض بأن الحكام كانوا يأمرون المصاب بمرض معد من مدينة حائل بالذهاب الى أحد الغيران (الكهوف) في جبل أجا خشية أن يصيب غيره، راجع، العريفي، فهد، هذه بلادنا (حائل) الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض ١٩٨١، ص ١٢٩.

(٤٤) الشبل، مرجع سابق، ص ٢٩٨، ومن الأهمية الإشارة الى وجود قدر من الوعى لدى الناس، فضمن فهرس مكتبة البنيان كتاب " تسهيل المنافع في الطب والحكمة "، ومن الكتب الموقوفة "التحفة المنتخبة في الأدوية للعامرى "، وأيضا وقف سعيد غلام الأمير محمد بن عبد الله بن رشيد عدة كتب منها "الأزرق" في علم الطب والتحفة المنتخبة في الأدوية المجربة، وأيضا وقف خالد غلام حمود العبيد، الجزء الأول من كتاب الجامع لمفردات الأدوية لابن البيطار، راجع، الحماد، مرجع سابق، ص ١٢٨-١٣٠.

(٤٥) القويعى، محمد بن عبد العزيز، تراث الاجداد، دراسات لجوانب مختلفة من تاريخ مأثوراتنا الشعبية، ج ١، الطبعة الاولى، ١٩٨٢، ص ١١٢.

(٤٦) بالجريف، مرجع سابق، ص ١٧٩-١٨٠.

(٤٧) المرجع السابق، ص ٤٤.

(٤٨) الشبل، مرجع سابق، ص ٢٨٥-٢٨٦، وقد أشار هوبير الى تجربته الذاتية في هذا الصدد حيث أتى له مرافقة بابنه الوحيد ومعه فنجان من الماء وطلب منه ان يقرأ عليه شيئا من الكلمات الضرورية للشفاء، راجع، هوبير، شارل، رحلة في الجزيرة العربية الوسطى، ١٨٧٨-١٨٨٢، الحماد، الشمر، القصيم، ترجمة، سعادة،اليسار، الطبعة الاولى، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٢٠

(٤٩) من الممارسات التى درج على القيام بها كثير من رجال الدين اليهود: ممارسة السحر والكهانة والعرافة، كما اشتهروا بكتابة التعاويذ والرقى والتمائم لطرد الأرواح الشريرة، راجع، مقار،شفيق، السحر في التوراة والعهد القديم، الطبعة الاولى، الريس، رياض، للكتب والنشر، ١٩٩٠، ص ٣٤٩، والواقع انه فى ظل سيادة الجهل وغياب العلم تم اللجوء الى السحر على تفاوت في كثير من البلدان مثل ايران ما بين القرنين ١٧ و ١٩ وايضا مصر ، راجع،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

A.Mohit.Mental Health and Psychiatry in The Middle East :Historical development. Eastern Mediterranean Journal.Vol.7.No.3.2001.p.343.

(٥٠) المرجع السابق، ص ٢٨٦، وقد أشار بالجريف الى أن البعض قد ظنوا أنهم يقومون بالبحث عن الكنوز المخبأة على غرار المغامرين المغاربة الذين يذيع صيتهم في الطب والعلوم الطلسمية، ويعبرون من أجلها الصحراء، بالجريف، مرجع سابق، ص ٢٤، وراجع إشارة اويتنج لطلب أحد الرعاة أن يكتب له حجابا، ص ٣٧.

(٥١) القويعي، ج١، ص ١٠٧.

(٥٢) العريني، عبد الرحمن بن على، الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد وأثر الدعوة السلفية فيها منذ القرن العاشر الهجرى الى سقوط الدرعية، (٩٠١ هـ-١٢٣٣هـ) (١٤٩٤-١٨١٨م) رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية. ١٩٨٤، ص٢٧٥.

(٥٣) بالجريف، مرجع سابق، ص ١٩٤.

(٥٤) الشبل، مرجع سابق، ص ٢٨١.

(٥٥) بالجريف، مرجع سابق، ص ١٧٨-١٧٩.

(٥٦) المرجع السابق، ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٥٧) فالين، جورج أوغست، صور من شمالى جزيرة العرب في منتصف القرن التاسع عشر ، ترجمة، شبلى، سمير سليم، راجعه، يوسف ابراهيم يزبك، الطبعة الثانية، ١٩٩١، ص ٩٠-٩١.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٥٨) المرجع السابق، ص ١٥٣.

(٥٩) المرجع نفسه، ص ٣٢، بالجريف، مرجع سابق، ص ١٩٩، وقد امتدح داوتى المناخ الصحى لتيماء وجعلها في مأمن باستمرار من الأوبئة، ص١١٨.

(٦٠) فالين، مرجع سابق، ص ٧٦، وقد استفاض أويتنج في الحديث عن الإهمال وعدم نظافة مدينة العلا، مرجع سابق، ص ٢١٣، كما تحدث فالين عن مدينة "سكاكة برغم انه لم يزرها وكان يأتيه البعض من رجالها للاستشارة الطبية "فوجدتهم خشنى الملامح وفى حالة بشعة" وأشار الى ان "الحالات الصحية فى بلدتهم سيئة جدا، وأكثر الامراض التى وجدتها فيهم الزهرى فى الدرجتين الثانية والثالثة "، ص ٦١-٦٢.

(٦١) بالجريف، ص ١١١.

(٦٢) المرجع السابق، ص ٨٢.

(٦٣) نفسه، ص ٨٨.

(٦٤) بلنت، آن، رحلة الى بلاد نجد، ترجمة، محمد أنعم غالب، الطبعة الثانية، منشورات دار اليمامة ١٩٧٨، ص ١٨٥، والجدير بالذكر أن "ولفرد بلنت" قد تأثر كثيرا في لقاءه برتشارد بيرتون وأيضا بعمل بالجريف، كما كان محررا ومشاركا في مؤلفات زوجته سواء الكتاب السابق أو كتابها عن القبائل البدوية على نهر الفرات، راجع،

Berdine.Michael.Denis ,The Accidental Tourist ,Wilfrid Scawen Blunt ,Islamic Reform And The British Invasion of Egypt 1882,university of Arizona,2001,pp.35-36.

(٦٥) هوبير، مرجع سابق، ص ٧٤.

(٦٦) المرجع السابق، ص ٨٨ -٨٩.

(٦٧) بالجريف، مرجع سابق، ص ٢٩٧.

(٦٨) المرجع السابق، ص ٤٨، وأيضا فالين، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٦٩) فالين، مرجع سابق، ص ٢٤.

(٧٠) المرجع السابق، ص ١٦٨-١٦٩.

(٧١) بالجريف، مرجع سابق، ص ٤٧-٤٩.

(٧٢) داوتى، مرجع سابق، ص ١٣٣- ١٣٤.

(٧٣) المرجع السابق، ص ١٣٥-١٣٦.

(٧٤) بالجريف، مرجع سابق، ص ٤٦٧، وراجع، الحماد، مرجع سابق ، ص ٣٩-٤٠.

(٧٥) الشبل، مرجع سابق، ص ٢٧٧، وكان الوباء قد بدا في الهند وانتقلت العدوى مع الحجيج الى مكة، انظر، فاسيلييف، اليكسى، تاريخ العربية السعودية، الطبعة الاولى، بيروت ١٩٩٥، ص ٢٣٦.

(٧٦) المرجع السابق، ص ٢٩٥.

(٧٧) الفاخرى ،محمد بن عمر، تاريخ الفاخرى، دراسة وتحقيق وتعليق، الشبل، عبد الله بن يوسف، ١٩٩٩، حديثه عن حوادث عام ١٢٧٤ هـ ومنها مرض الحجيج بعد عودتهم من مكة، وايضا حديثه عن وقوع مرض الجدرى والسعال وهلاك كثير من الاطفال بسببه -ص ٢١٥ -٢٢١.

(٧٨) داوتى، مرجع سابق، ص ٦٣.

(٧٩) أوتينج، مرجع سابق، ص ١٣٤، وقد اوضح هوبير أن " قرية موقق منهكة بسبب أنواع الحمى المستشرية بانتظام كل سنة منذ الخريف وحتى الصيف وفى عام ١٨٧٠ حصد مرض الكوليرا الذى جلبته قافلة عائدة من مكة ربع السكان، هوبير، مرجع سابق، ص ٩٣.

(٨٠) تفاوتت باستمرار التقديرات لعدد السكان فقدر فالين عدد السكان في مدينة حائل بنحو عشرين الفا، بينما ارتفع التقدير لدى لوريمر الى خمس وخمسين الفا ومن ثم فان التقديرات في ظل غياب وثائق محلية دقيقة، تظل في نطاق المؤشرات فحسب، راجع لوريمر، ج.ج، دليل الخليج، القسم الجغرافى، ج ٦، طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد ال ثانى، قطر، ص ٢٢٤٨.

(٨١) داوتى، مرجع سابق، ص ٢١٨-٢١٩، كما أشار هوبير الى تفشى الحمى في الحائط، هوبير، مرجع سابق، ص١٢٣.

(٨٢) أويتنج، مرجع سابق، ص ٤٠.

(٨٣) داوتى، مرجع سابق، ص ١٧٤.

(٨٤) هناك وصف للعديد من الكوارث البيئية في منطقة نجد مثل انتشار بعض الاوبئة والجفاف، راجع، الذكير، مقبل، مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود، البسام،عبد الله العبد الرحمن، الطبعة الاولى، ذ.ت، راجع الحديث عن سنوات، ١١٢٦-١١٢٨-١١٣٢ هـ، ص ٨٢-٨٣.

(٨٥) العثيمين، عبد الله صالح، نشأة امارة أل رشيد، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، ١٩٨١ ص ٨٠.

(٨٦) جوارمانى، كارلو كلاوديو، نجد الشمالى، رحلة من القدس الى عنيزة في القصيم، ترجمة وتعليق، احمد ايبش، الطبعة الاولى، المجمع الثقافى بأبوظبي، ٢٠٠٩، ص ٥٨.

(٨٧) داوتى، مرجع سابق، ص ١٢٦.

(٨٨) الاقط وهو من مادة اللبن وذلك بعد خضه يعمدون بعد ذلك الى طبخه مدة طويلة ثم يبرد ويشكل على هيئة قطع صغيرة ثم ينشر حتى يجف فيؤكل -القويعى ج ١، ص ١١٦ .

(٨٩) داوتى، مرجع السابق، ص ٢٥٢-٢٥٣، كما ذكر أنه أعطى بعض النساء مشروب الكينا المقاوم للحمى، مقابل بعض من السمن، نفسه، ص ٢٥٦.

(٩٠) جوارمانى، مرجع سابق ن ص ٦٣-٦٤.

(٩١) المرجع السابق ن ص ٨٣.

(٩٢) الشبل، مرجع سابق، ص ٢٨٣-٢٨٤.

(٩٣) المرجع السابق، ص ٢٨٨.

(٩٤) أوتينج، مرجع سابق، ص ٥٠، وعن طريقة الإجهاض للنساء كانت هناك وصفة متعارف عليها عبارة عن كأس من عرق الفرس بعد أن تتعرق في سباق تأخذها المرأة وتجهض بعدها مباشرة، راجع، الشمرى،خليف، مرجع سابق، على نحو خاص الفصل الخامس.

(٩٥) داوتى، مرجع سابق، ٩١-٩٢، وتتزين المرأة البدوية بمختلف الأصباغ المعروفة آنذاك .

(٩٦) من النماذج في هذا الصدد اعتقاد البعض ان دم البرزان يشفى من داء الكلب ، راجع، العرينى، مرجع سابق، ص ٤٥١-٤٥٢، وراجع أيضا، معمر،عبد الله، الطب الشعبى: حقيقة العلاج وثقافة المرض، شؤون اجتماعية، السنة ٢٣، العدد، ٨٩، ٢٠٠٦، ص ١٨٨-١٨٩.

(٩٧) بالجريف، مرجع سابق، ص ١٨٢.

(٩٨) المرجع السابق، ص ٢٩٩.

(٩٩) المرجع نفسه، ص ١٨٥.

(١٠٠) الشبل، مرجع سابق، ص ٢٩٨-٢٩٩.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١٠١) المرجع السابق، ص ٢٩٩-٣٠١، وأيضا لوريمر، مرجع سابق ج٥، ص ١٦٩٧، وكثيرا ما تشكى الرحالة من الاحوال البيئية الصعبة في الحفاظ على الادوية مثل ارتفاع الحرارة وهبوب الرياح، نفسه، ص٢٨٥.

(١٠٢) - لوريمر ، مرجع سابق، ج٦ ص ٢٢٤٣.

(١٠٣) الشبل، مرجع سابق، ص ٢٩٤-٢٩٥.

(١٠٤) القويعى، مرجع سابق، ج ١ ، ص ١٥٢.

(١٠٥) جورمانى، مرجع سابق، ص ٨٣.

(١٠٦) داوتى، مرجع سابق، ص ٦٣.

(١٠٧) حسنى،حسين، مذكرات ضابط عثمانى في نجد، الاوضاع العامة في منطقة نجد، ترجمة وتعليق صابان،سهيل، الرياض ٢٠٠١، ص ٧٥.

(١٠٨) دواتى، مرجع سابق. ص ١٦٠.

(١٠٩) الشبل، مرجع سابق، ص ٢٩٧، وذكر داوتى أيضا ان حالات الصرع محدودة، ص ٣٠١.

(١١٠) القويعى، ج١، ص ١٥٢.

(١١١) وقد أبدى داوتى دهشته من بعض أساليب العلاج مثل " تناول المريض لجيف النسور او روث الحمار وخلطه بالماء وبعض الحليب "، الشبل ص٢٨٧، وربما كان وراء ذلك الاعتقاد ان تلك الوسيلة تسهم في طرد الأرواح الشريرة.

(١١٢) القويعى، مرجع سابق، ج١، ص ١٠١.

(١١٣) بالجريف، مرجع سابق، ص ١٨٣.

(١١٤) حسين حسنى، مرجع سابق، ص ٧٥.

(١١٥) بالجريف، مرجع سابق، ص ١٨٣-١٨٤، وحول الصلب، راجع، بلى، لويس، مرجع سابق، ص ١٤٩-١٥١ وراجع دراسة وافية حول الصلب في، العرينى، مرجع سابق، الفصل الثانى، ص ١٤٢ وما بعدها.

(١١٦) القويعى، مرجع سابق، ج٢، ص ١٤١.

(١١٧) المرجع السابق، ص ١٣٩-١٥١.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مراجع الدراسة

أولا العربية والمعربة

١- ابن منظور، لسان العرب، ج١، القاهرة د.ت.

٢- العقبى، أحمد حسين، التنافس الإنجليزي الفرنسى في شبه الجزيرة العربية في القرن الثالث عشر الهجرى التاسع عشر الميلادى، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٣٠هـ

٣- الطشاكبيرى، أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، الجزء الاول، القاهرة ١٩١١.

٤- ذهنى، الهام محمد على، مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٢.

٥- فاسيلييف، اليكسى، تاريخ العربية السعودية، الطبعة الاولى، بيروت ١٩٩٥.

٦- الريحانى،أمين، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، بيروت، د.ت.

٧- بلنت، آن، رحلة الى بلاد نجد، ترجمة، غالب، محمد أنعم، الطبعة الثانية، منشورات دار اليمامة، ١٩٧٨.

٨- البستانى، بطرس، محيط المحيط، مكتبة لبنان، ١٩٨٣.

٩- داوتى، تشارلز، رحلات داوتى في الجزيرة العربية، ترجمة، حسن، عدنان، الطبعة الاولى، دار الوراق، ٢٠٠٩.

١٠- لوريمر، ج.ج، دليل الخليج، القسم الجغرافى، ج ٥- ٦، طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى، قطر، د.ت .

١١- فالين،جورج أوغست، صور من شمالى جزيرة العرب في منتصف القرن التاسع عشر، ترجمة سمير سليم شبلى، راجعه، يوسف ابراهيم يزبك، الطبعة الثانية، ١٩٩١ .

١٢- خليفة، حاجى، كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون، الجزء الاول، استنابول، ١٨٩٢.

١٣- حسنى، حسين، مذكرات ضابط عثمانى في نجد، الاوضاع العامة في منطقة نجد، ترجمة وتعليق سهيل صابان، الرياض ٢٠٠١.

١٤- شاز، راشد، الطريق الى الجزيرة العربية، الدار العربية للموسوعات، الطبعة الاولى، ٢٠٠٧.

١٥- كحالة، رضا، جغرافية شبه جزيرة العرب، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ١٣٦٤ هـ

١٦- هوبير، شارل، رحلة في الجزيرة العربية الوسطى، ١٨٧٨-١٨٨٢، الحماد، الشمر، القصيم، ترجمة اليسار سعادة، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٣.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٧- مقار، شفيق، السحر في التوراة والعهد القديم، الطبعة الاولى، رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٠.
١٨- أبو علية، عبد الفتاح حسن، تاريخ الدولة السعودية الثانية،١٢٥٦-١٣٠٩ هـ، ١٨٤٠-١٨٩١، الطبعة الرابعة، دار المريخ، الرياض، ١٩٩١.
١٩- العثيمين، عبد الله صالح، نشأة امارة أل رشيد، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، ١٩٨١.
٢٠- العثيمين، عبد الله صالح، قراءة في دراسات عن امارة آل رشيد، الطبعة الاولى، ٢٠٠١.
٢١- البادى، عوض، الرحالة الاوربيون في شمال وسط الجزيرة العربية، منطقة حائل، ١٨٤٥-١٩٢٢، الجزء الاول، الطبعة الاولى، نادى حائل الأدبي، ٢٠١٤.
٢٢- العريفى، فهد، هذه بلادنا (حائل) الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض ١٩٨١.
٢٣- جوارمانى، كارلو كلاوديو، نجد الشمالى، رحلة من القدس الى عنيزة في القصيم، ترجمة وتعليق، احمد ايبش، الطبعة الاولى، المجمع الثقافى بأبوظبي، ٢٠٠٩.
٢٤- بوزورث، كليفورد، تراث الاسلام، الجزء الثانى، ترجمة، حسين مؤنس، احسان صدقى العمد، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨ .
٢٥- بلى، لويس، رحلة الى الرياض، ترجمها وحقق لها، عبد الرحمن عبد الله الشيخ، عويضة بن متريك الجهنى، الطبعة الاولى، الرياض، ١٩٩١.
٢٦- القويعى، محمد بن عبد العزيز، تراث الاجداد، دراسات لجوانب مختلفة من تاريخ مأثوراتنا الشعبية، ج ١، ج ٢، الطبعة الاولى، ١٩٨٢.
٢٧- الفاخرى، محمد بن عمر، تاريخ الفاخرى، دراسة وتحقيق وتعليق، عبد الله بن يوسف الشبل، ١٩٩٩.
٢٨- حسين، محمد كامل، وآخرون، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د.ت.
٢٩- المفضلى، مشعل بن مهجع، الصلات الحضارية بين جبل شمر وجنوب العراق، الطبعة الاولى، ٢٠١٤.
٣٠- بالجريف، وليم جيفورد، وسط الجزيرة العربية وشرقها (١٨٦٢-١٨٦٣) ترجمة، صبرى محمد حسن، المجلس الاعلى للثقافة، ٢٠٠١.
٣١- أوتينج، يوليوس، رحلة داخل الجزيرة العربية، ترجمه وعلق عليه، سعيد بن فايز السعيد، دارة الملك عبد العزيز، ١٩٩٩.

ثانيا دراسات غير منشورة

- الحماد، حمد بن عبد الله، حكم محمد بن عبدالله الرشيد لنجد (١٢٨٩-١٣١٥ هـ) (١٨٧٣ -١٨٩٧)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، ٢٠٠٤.
- الشمرى، خليف بن صغير، امارة حائل في عهد الامير طلال ابن رشيد، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القصيم، ٢٠١٤.

- العريني، عبد الرحمن بن علي، الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد واثر الدعوة السلفية فيها منذ القرن العاشر الهجرى الى سقوط الدرعية، (٩٠١ هـ-١٢٣٣ هـ) (١٤٩٤-١٨١٨ م) رسالة ماجستير، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، ١٩٨٤.

ثالثا الدوريات

- معمر، عبد الله، الطب الشعبى : "حقيقة العلاج وثقافة المرض "، شؤون اجتماعية، السنة ٢٣، العدد، ٨٩، ٢٠٠٦.
- الشبل، عبد العزيز بن صالح، " الاوضاع الصحية في شمال الجزيرة العربية من خلال ما كتبه الرحالة شارلز داوتى في كتابه رحلات في الصحراء العربية "، الدرعية، السنة الرابعة، العدد الرابع عشر، يوليو ٢٠٠١.
- المقيرن، محمد بن مقرن، "تطور القطاع الصحى في منطقة الرياض من عهد الملك المؤسس الى عهد خادم الحرمين الشريفين، قراءة تاريخية "، دارة الملك عبد العزيز، السنة الثلاثون، العدد الثانى ربيع الآخر ١٤٢٥ هـ.

رابعا باللغة الانجليزية

Blunt.The future of Islam.London Kegan -paul.1882

-Cromer.modern Egypt.London.vol 2.1908.

-Abouseif.Doris.behrens.The Image of The Physician in Arab Biographies of The Post Classical Age. Der Islam.1989.

Denis Berdine.Michael,The Accidental Tourist ,Wilfrid Scawen Blunt ,Islamic Reform And The British Invasion of Egypt 1882,university of Arizona,2001.

- Ian Blecher.Robert,The Medicalization of Sovereignty :Medicine Public Health And Political Authority In Syria,1861-1936.Stanford University ,2002.

ب- دوريـــات

-A.Mohit.Mental Health and Psychiatry in The Middle East :Historical development. Eastern Mediterranean Journal.Vol.7.No.3.2001.p.343.

- Meyerhof.Max.The Book of Treasure,An Early Arabic on Medicine,The History of Science Society,Vol.14.No.1. May. 1930.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com